الأدب المقارن والمركزية الغربية

د. عبد النبي اصطيف ❖

الأدب العالمي «World Literature»، والأدب المقارن «Comparative Literature»، مفهومان يحملان، في صلب دلالة كل منهما، بعداً عبر قومي «Transnational».

فالأدب العالمي، سواء أقصد به هذا «المزيج الغامض من آداب العالم كلها» على حد تعبير ادوارد سعيد(١)، أم قصد به تلك «الكتب العظيمة Great Books»، أو «الروائع Masterpieces»، التي تتجاوز في تأثيرها وجمهورها الحدود السياسية والقومية واللغوية، مفهوم يعنى بالأدب عناية تتجاوز الاعتبارات القومية أو الإقليمية الضيقة، وينظر إليه نظرة تتسم بالرحابة والشمول.

(❖) د. عبد النبي اصطيف: باحث من سورية، دكتوراه في فلسفة النقد المقارن. أستاذ الأدب المقارن والنقد الحديث في جامعة دمشق.

والأدب المقارن، في تركيزه على عملية التفاعل بين الآداب القومية المختلفة - قديمها وحديثها، شرقيها وغربيها - مفهوم ينطوي على تسام واضح فوق الحدود السياسية والقومية واللغوية، بل وحتى المعرفية عندما يدرس تفاعل الأدب بوصفه فنّاً جميلاً مع سائر الفنون الجميلة الأخرى من جانب، ومع المعارف الإنسانية والطبيعية والعلمية الأخرى من جانب آخر.

ومعنى هذا أن أي موقف يُجانب هذا التطلع نحو الأفق الإنساني الرحب سيكون مناقضاً لروح المفهومين، بل لطبيعتهما أيضاً، وسيكون بالتالي معيقاً لتطورهما إلى حيثما يرجى لهما من مواقع ترسخ قيم التعاون والمشاركة والتفاهم والاحترام المتبادل بين مختلف الشعوب والأمم عبر الاهتمام بدراسة واحد من أبرز فنونها الجميلة دراسة مقارنة. خاصة وأن هذه الفنون الجميلة قد دللت على أنها الأداة الأمثل لغرسها في النفوس والأرواح، والضمان الأكيد لبقائها في الفسحة الإنسانية التي طالما حرصت عليها سائر الأديان والعقائد والمذاهب والحضارات البشرية عبر العصور، وفي شرق العالم وغربه، وشماله وجنوبه، إعلاءً لإنسانية الجنس البشري، وتحقيقاً لجوهر تساميه.

ولكنّ كلاً المفهومين - كما يقر بذلك مؤرخو الأدب المقارن- أوروبي النشأة والتطور. والسؤال الذي يخطر للمرء إذ يتذكر هذه الحقيقة هو: هل كان لهذه النشأة وذاك التطور من أثر في طبيعة كل من المفهومين، وبالتالي في وظيفتهما؟

ليس على المرء أن يقرأ على نحو واسع في تاريخ الأدب المقارن حتى يتبين الآثار غير المحمودة التي خلفتها هذه النشأة في كلا المفهومين، والتي نجمت أساساً عن نزعة التمركز حول الذات التي طبعت التفكير الأوروبي Euro-centrism، وفيما بعد التفكير الأمريكي الشمالي، فيهما. وليس ثمة من يماري اليوم في ضرورة الخروج على هذه النزعة واستئصال فيروسها من المنظور المقارن إذا ما أريد له أن يكون سليماً معافى في تناوله لمختلف ضروب العلاقة بين الآداب القومية.

لقد حمل النصف الثاني من القرن العشرين إلى ميدان الدراسات المقارنة في الأدب والفن (وبخاصة في أمريكة الشمالية التي غدت نتيجة استقبالها لكثير من المقارنين الأوروبيين الذين فروا إليها من أوروبة هرباً من الاضطهاد النازي، وللعديد من المقارنين غير الأوربيين الذين وفدوا إليها محفوزين بعوامل مختلفة، ساحة عمل واسع في الأدب المقارن تنظيراً وممارسة) تطورات مهمة،ربما كان من أبرزها التحول التدريجي الذي شهده الأدب المقارن

من١٥١ التقليد البحثي إلى التقليد النقدي[٢]، حيث غدا اليوم ممارسة نقدية أقرب إلى طبيعة الفن الأدبي منها إلى البحث التاريخي الأدبي الثقافي. ومع ذلك فقد ظلت الفكرة المهيمنة في هذا الحقل المعرفي المهم - هيمنة تكاد تكون مطلقة حتى عهد قريب - أن :

«أوروبة والولايات المتحدة الأمريكية هما مركز العالم، ليس فقط بسبب موقعيهما السياسيين، وإنما كذلك بسبب أن آدابها أكثر الآداب جدارة بالدراسة[٣].

وبعبارة أخرى، إن الثقل الاقتصادي والسياسي والعسكري الذي ضمنته الحرب العالمية الثانية للغرب انعكس في هذه المركزية الأوروبية - الأمريكية في ميدان الدراسات المقارنة، إلى درجة تم معها تحييد تأثيرات المنظورات الأخرى، وعلى رأسها منظور مقارني الاتحاد السوفياتي والدول الاشتراكية (الذي يستند إلى تجارب غنية وشائقة في التفاعل ما بين الآداب القومية الآسيوية والأوروبية المختلفة في ظل الأيديولوجية الماركسية المهيمنة)، ومنظور مقارني العالم الثالث، وبخاصة في شبه القارة الهندية وجنوبي شرقي آسية (حيث التفاعل المثير بين مختلف اللغات والآداب والثقافات الخاصة بشعوب هذه المنطقة)، وأمريكة اللاتينية (حيث تتفاعل ثقافات شعوبها الأصلية مع ثقافات شبه الجزيرة الإيبرية وثقافات المهاجرين الآخرين).فضلاً عن التجربة العربية الفريدة في التفاعل مع الآداب الأخرى - هذه التجربة التي امتدت نحواً من ستة عشر قرناً وشملت آداب العالمين القديم والحديث وآداب الشمال والجنوب. وكأن انشغال الغرب بالحرب الباردة من جانب، وممارسته لسياسة الاحتواء من جانب آخر، قد انتقلا إلى التفكير المقارني الغربي فجعلاه ضيق الأفق إلى درجة لا يرى فيه إلا قطاعاً محدوداً من التجربة الإنسانية في الأدب،يستطيع أن يتماهى معها ماضياً وحاضراً وربما مستقبلاً أيضاً، ويستغني بها عن سائر التجارب الأخرى في العالم.

فأما الماضي البعيد الذي يظفر باعتراف الغرب فإنه يقتصر على شريحه ضيقة منه لا تتعدى الآداب الكلاسيكية والتراث اليهودي - المسيحي المرتبط عضوياً بالعهدين القديم والجديد. ذلك أن الأدب الغربي لا يقر إلا بدينه لهذين المصدرين القديمين - الحديثين اللذين يرى فيهما مكوّنين بارزين من مكوناته الأساسية. وهكذا فإنه يركز على علاقات الآداب القومية الغربية بالأدبين اليوناني والروماني من جهة، وعلى حضور الموروث التوراتي في هذه الآداب من جهة أخرى (متناسياً بالطبع أن الديانتين اليهودية والمسيحية قد ظهرتا إلى الوجود في ربوع

الشرق القديم مهد الحضارات والديانات السماوية). وهو فوق هذا وذاك لا يرى في الآداب الغربية غير أفنان تفرعت عن جذع واحد تغذى بهذين المصدرين، فضلاً عن الواقع الفني بدلالاته.

أما التراث السردي الشرقي الذي تشكل ملحمة غيلغاميش، وكليلة ودمنة، وألف ليلة وليلة، والمقامات العربية أبرز صواه، فإنه يقع خارج دائرة التراث الإنساني الذي صدرت عنها أجناس السرد الغربية المختلفة، والتي لم تبارح في حقيقة الأمر دائرة السحر الشرقي هذا. وهو أمر بات يقر به العديد من الباحثين الغربيين الذين سعوا مؤخراً إلى إبراز الدور الذي أدته الآداب الشرقية في تطور أجناس سردية مهمة كالرواية الغربية(٤).

وأما التراث الشعري الأندلسي (الذي يشمل الشعر والموشحات والزجل)، والذي استعاد بفضله الشعر الغنائي الأوروبي بدءاً من القرن الثالث عشر حياته وقوته ونشاطه وانتشاره الواسع بوساطة شعراء التروبادور، فأمر لا سبيل إلى القطع به، مهما تراكمت الدلائل النصية وفوق النصية على دوره الحيوي هذا، ذلك أنه يظل في الدائرة الخلافية، ويبقى مجالاً واسعاً للمماحكة العابثة(٥).

وعندما يأتي الأمر إلى الماضي القريب جداً من التجربة الأدبية الإنسانية، فإن الغرب لا يرى فيه غير تمدد غربي باتجاه الآخر في العالم الثالث - تمدد ظلّل الآداب الأخرى وألهمها، وردّ عليها حياتها (ولم نذهب بعيداً، ألا يتحدث العرب المحدثون عن النهضة العربية الحديثة ويتخذون من الحملة الفرنسية على مصر في نهاية القرن الثامن عشر منطلقاً لها) ويسّر عليها تحوّلها من المرحلة التقليدية Traditional إلى الحداثة Modernity بصورتها الغربية. إنه الوجه الأدبي لاستعمار الغرب لباقي العالم، وإعماره، وتحديثه، تنفيذاً لواجب الرجل الأبيض - أو لعبئه- في تحضير هذا العالم، وتمدينه، وإلحاقه بركب التقدم والعصر.

وأما الحاضر فالغرب فيه هو الأنموذج والقبلة، وآدابه وفنونه وثقافته هي المثال والمآل، والكل يسعى إلى محاكاتها. أو ليست التعبير الأمثل عن النجاح الدنيوي الذي حققه هذا الغرب السيّد الآمر الناهي، الذي يقول ويفعل، ويحقق الفردوس الأرضي.

وأما المستقبل فإنه ما يراه هذا الغرب، وما يخطط له، وما يرجوه، وما على الآخرين إلا التطلع إليه، والتضحية بالغالي والرخيص لبلوغه، خاصة وأن هذا الأنموذج غدا - في نظر المعجبين به إعجاباً أعمى - الأنموذج العالمي في جميع وجوه الحياة الإنسانية وفي مختلف بقاع الأرض شمالاً وجنوباً، شرقاً وغرباً.

وهكذا كان من الطبيعي جداً لهذه النظرة المحكومة بنزعة التمركز حول الذات أن ترى الآداب القومية الأخرى آداباً تقع في مرتبة أدنى من نظيراتها الغربية. والسبب فيما يبدو لأصحاب هذه النظرة يكمن في كون هذه الآداب نتاج أمم وحضارات أقل شأناً من الأمم التي أنتجت الحضارة الأوروبية التي يغلب عليها العقل، وحب الحرية، والإيمان بالديموقراطية، وقبول النظام، وغير ذلك مما لم تعرفه الحضارات الأخرى فيما يزعمون. ونظرة كهذه هي، كما تضعها سوزان بازينت وبحق، نظرة عنصرية «Racist» في جوهرها، وعابثة «Absurd»[٦] في موقفها. ولكنها كانت رائجة رواجاً واسعاً في المناخ الإمبريالي للقرن التاسع عشر الذي استخدم الغرب فيه المقارنة ليؤكد تفوقه الذي يسوّغ بدوره ضمناً هيمنته على الآخر الأقل شأناً.

يقول اللورد ماكولي متحدثاً عام ١٨٣٥ إلى اللورد بينتينك، الحاكم العام للهند في تلك المرحلة:

«لم أجد قط واحداً من بينهم (يعني المستشرقين) استطاع أن ينكر أن رفّاً واحداً من مكتبة أدبية جيدة كان يعدل جماع الأدب الأصلي للهند والجزيرة العربية. إنني بالتأكيد لم ألتق قط بمستشرق غامر بالزعم بأن الشعر العربي أو الشعر السنسيكريتي يمكن أن يقارن بشعر الأمم الأوربية العظيمة»[٧].

ولذلك فإن الأوروبيين، حتى عندما كان يدفعهم فضولهم إلى ترجمة بعض النتاج الأدبي غير الأوروبي، كانوا يمارسون ذلك بدرجة دنيا من الاحترام لهذا النتاج. وأكثر من هذا فإنهم كانوا يمنحون أنفسهم مطلق الحرية في العبث به، وتغييره، بل ربما زعموا أنهم بذلك يخدمونه ويرتقون به أو يضيفون إليه ما ينقصه جوهرياً وهو الفن.

يكتب ادوارد فيتزجيرالد مترجم رباعيات الخيام (والمفارقة أن الناس اليوم لا يكادون يذكرون من هذا الشاعر الصلف إلا ترجمته هذه التي خلدته) إلى صديقه كويل في العشرين من شهر آذار من عام ١٨٥٧.

«إنها لتسلية أن أفعل ما يحلو لي بهؤلاء الذين (فيما أعتقد) ليسوا شعراء إلى درجة كافية لإخافة المرء من ممارسات كهذه، والذين هم في الحقيقة بحاجة إلى بعض الفن ليصوغهم[٨].

وإذا كانت نظرة الغربيين إلى هذه الآداب العريقة والمدونة نظرة دونية إلى هذه الدرجة، فإنه يمكن للمرء أن يتخيل درجة استخفافهم بالآداب الشفوية التي لم يتيسر تدوينها للأمم التي أنتجتها نتيجة

ظروف تاريخية أو اجتماعية أو ثقافية، ودرجة الإسراف في تثمين عملهم في جمع هذه الآداب الشفوية وتدوينها ونشرها وترجمتها فيما بعد إلى اللغات الأوروبية الرئيسة. وربما كان هذا وراء الحرية العجيبة التي تلفّع نشاطات الغربيين بـ ألف ليلة وليلة، على سبيل المثال، ترجمةً، أو اقتباساً، أو استلهاماً، أو تحويراً، أو تحويلاً للاستخدام في الفنون الجميلة المختلفة بما فيها الفن السابع، وعلى نحو مشين، وبالطبع جدّ مسيء في كثير من الأحايين، للأمة التي أنتجتها كما حدث في الأفلام العديدة التي اقتبستها شركة والت ديزني عن ألف ليلة وليلة (أو الليالي العربية) من مثل علاء الدين، وعودة جعفر، وغيرهما.

والحصيلة النهائية لهذه النظرة المسرفة في تمركزها حول الذات بقاء الآداب غير الغربيةخارج دائرة المقارنة. ذلك أن المقارنة ينبغي أن تظل محصورة بين النظراء والأنداد. وبالتالي يجب أن تقتصر على الآداب الأوروبية(٩)، وآداب أمريكة الشمالية لاحقاً. وبذلك تتعزز الصبغة الأوروبية للأدب المقارن الذي نشأ ونما وترعرع وازدهر ليؤدي وظيفة أو وظائف محددة في المجتمعات الأوروبية الغربية، ربما كان من أهمها تعزيز فرص السلام بين الأمم الأوروبية، وإشاعة نوع من الانسجام بين الأمم المتنازعة على الهيمنة والنفوذ داخل أوروبة وخارجها كذلك. وحتى دعوة غوته إلى ماأسماه بـ الأدب العالمي كانت دعوة متصلة بأوروبة أشد الاتصال، وكانت تعبيراً عن رغبته القوية في إنهاء الحرب الدائرة فيها، على الرغم من أنه في نهاية المطاف قد حاول التطلع إلى خارج هذه الدائرة الأوروبية.

وهكذا انشغل مقارنو القرن التاسع عشر بالأدباء الأوروبيين دون غيرهم، يتابعون عبور نتاجاتهم خارج حدود آدابهم القومية، ويتلمسون تأثيراتها على المستوى الفردي أو الجمعي، ولكن ضمن الدائرة الأوروبية حصراً. ومع تسنم أوروبة مكان الصدارة على المستوى الدولي من النواحي السياسية والعسكرية والاقتصادية، وتمدّدها خارج حدودها ليستظل بحضورها المباشر أو غير المباشر سائر العالم تقريباً، تحوّل الأدب الأوربي وأعلامه إلى معايير فنية تقاس بها سائر الآداب الأخرى التي تُركت لها السفوح الدنيا من مرتفعات الأدب العالمي التي تربّع على ذراها هوميروس ورفاقه من الأدب اليوناني، وفيرجيل وأنداده من الأدب اللاتيني، ودانتي وبوكاتشيو وبترارك من الأدب الإيطالي، وتشوسر وميلتون وشكسبير من الأدب الإنكليزي،وثيربانتس من الأدب الإسباني، وغوته وشيلر من الأدب الألماني،

وإبسن من الأدب النرويجي، وبوشكين ودوستويفسكي وتولستوي من الأدب الروسي،ناهيك بالطبع عن راسين وكورني وموليير، وفولتير وروسو وفلوبير وغيرهم من أعلام الأدب الفرنسي.

وعندما يسأل الغربي عن سر اهتمامه بآداب سائر العالم على الرغم من عدم تساميها إلى معارج الآداب الغربية الراقية التي هي المثال والمآل، يجيب بأنه الفضول الأوروبي والغربي وحده الذي يقف وراء هذا الاهتمام. فالغرب - فيما يزعم - يتميز عن سائر الأمم الأخرى بأهتمام جدّي بالآخر «The other» قلّ نظيره في التاريخ الإنساني، وبحب للمعرفة وارتياد الآفاق المجهولة لا يدانيه فيه شرق ولا جنوب. وفضلاً عما تقدّم هناك الهوس الأوروبي الخالد بالغريب والعجيب والشاذ والمتفرد الذي يفتن ألباب الأوروبيين ويراود نفوسهم فيطلبونه بشتى السبل. وثمة بالطبع أمور أخرى يمكن أن تضاف إلى الدوافع الغربية الكامنة وراء دراسة الآداب غير الغربية، على الرغم من بعدها عن الحساسيات الأوروبية: الفنيّة والنفسيّة، والأخلاقيّة، بل وحتى الاجتماعية. ذلك أن الغرب يدّون، ويحقق، وينشر، ويترجم، ويدَّرس، ويدرس هذه الآداب بغرض فهم منتجيها، ومعرفة وجوه حياتهم المختلفة على النحو الأفضل، بغرض تدبّرهم على النحو الذي تمليه العلاقات الدنيوية التي تربطه بهم: سياسيّاً ، واقتصادياً، وعسكرياً، واجتماعياً. أي أنه يودّ أن يوظف معرفته بآداب «الآخر» في خدمة مواجهته له واحتوائه والهيمنة على مقدراته والتحكم بمصيره واستغلال خيراته واستثمار ثرواته على النحو الذي يكفل دوام الرفاهية لشعوبه المتقدمة الراقية المتطورة.

وغني عن البيان أن هذه العمليات كلها، التي تخضع لها هذه الآداب محكومة بالنظرة الغربية. وإذا كانت عمليات الجمع والتدوين والتحقيق والنشر لا تشي على نحو واضح بهذه النظرة ولا بتضمناتها الأيديولوجية، فإن عمليات أخرى كالدّرس، والتحليل، والشرح، والتفسير، والمقارنة، والحكم وما شابهها، تكشف عن هذه النظرة على نحو بيّن، لأنها تُمارس على أسس ومعايير وأنظمة وقيم ومبادىء غربية تماماً، ولا تؤسس على معايير ومقاييس وأنظمة وقيم ومبادىء منبثقة عن هذه الآداب ذات التاريخ العريق، والتجارب الإنسانية الغنية، والتميز الفني الواضح، والإفصاح الصادق عن رؤية منتجيها للعالم.

والحقيقة أن الناظر في تاريخ الأدب العالمي، أو في تاريخ المتن الأدبي الذي أنتجته الإنسانية يستطيع أن يتبين أنه يشكل تياراً زاخراً ناجماً أساساً عن فيض متجدد، وأن روافده متعددة، بل وكثيرة، أنها

جاءت من الشرق والغرب، والشمال والجنوب، وأنها انبثقت أو تفجرت ينابيع في غاية العذوبة والصفاء على الرغم من أن مصادر مياهها متنوعة يصعب في أغلب الأحيان حصرها، ولكن المهم في كل ذلك أن هذه الروافد ممتدة زماناً امتداداً واسعاً يبدأ بظهور الإنسانية ويستمر حتى عصرنا الراهن، مثلما هي ممتدة مكاناً ومنتشرة انتشار الإنسان على هذا الكوكب.

ومعنى هذا أن على دراسي الأدب العالمي اليوم، وعلى رأسهم دارسو الأدب المقارن، أن يبرزوا هذه الاستمرارية من جانب، وهذا التنوع الغني المصادر من جانب آخر، وأن يكشوا عن الحديث عن ، علاقات أدبية، أو عبر سياسية، أو عبر قومية، أو عبر نوعية، أو بعبارة أخرى، علاقات أدبية تتجاوز الحدود اللغوية، والسياسية، والقومية، والمعرفية، تقوم أساساً على فكرة التأثير والتأثر فقط: طرف مؤثر، وطرف متأثِّر؛ طرف دائن، وطرف مدين؛طرف مانح، وطرف متلق: طرف معطٍ وطرف آخذ: طرف قوي، وطرف ضعيف؛ طرف غني، وطرف فقير: طرف معطاء سمح يعيش ويحيا الآخرون بجوده، وطرف كل ما استطاعه العيش على إنتاج الآخرين تماماً كالنباتات الطفيلية. إن على العاملين في ميدان الأدب العالمي أن يستبدلوا بهذه المقولة التي تقوم على جهل، أو تجاهل غبي، للتجربة الأدبية الإنسانية عبر العصور، منطقاً آخر تستعمل فيه مفردات اللقاء Encounter، والحوار Dialogue، والاستلهام Inspiraion، التي تحفز على التغيير والتطور والتقدم، وأن يمضي بعد ذلك إلى تصحيح ما هو سائد من فهم متمركز حول الذات للآداب القومية المختلفة وللعلاقات القائمة فيما بينها.

وفضلاً عن طبيعة المتن الأدبي العالمي التي تُحتِّم مقاربته على نحو أبعد ما يكون عن التمركز حول الذات، فإن ثمة أموراً عديدة تعزز التوجه الجديد في مقاربة الآداب القومية ومقاربة صلاتها المتبادلة فيما بينها، ربما كان من أبرزها:

أولاً- المحاولات الجادة التي تشهدها الأوساط الجامعية، والثقافية، والإعلامية، الغربية للمضيّ إلى ما وراء القانون الغربي Western Canon في الثقافة والأدب والفنون عامة، سعياً إلى الهامشي marginal،والثانوي، والمقموعSuppressed، في المواريث الغربية نفسها من جهة، وبحثاً عن الشفوي والمتحول في الثقافة الغربية المعاصرة؛ واهتماماً جاداً بآداب العالم الثالث، التي قمعت، أو أهملت، أو همشت، أو قُلِّل من شأنها، لاعتبارات جلها فوق أدبي، في المرحلة الاستعمارية.

ثانياً - التنامي المتزايد للمقاربات التناصية للأدب، والنظر إلى النص عامة،

والنص الأدبي خاصة، على أنه نسيج تداخلت فيه خيوط متعددة متنوعة مستمدة من نصوص أخرى تسربت إلى التكوين الثقافي لمنتج هذا النص في مرحلة من مراحل حياته. إن هذا الاهتمام المتزايد بتداخل النصوص وعلاقاتها الداخلية فيما بينها جعل الحديث عن التأثير والتأثر جوهراً للعلاقة بين الآداب المختلفة، والنصوص المختلفة، حديثاً أقل ما يمكن أن يوصف به هو أنه حديث يتسم بالسذاجة والإسراف في التبسيط لعلاقة فنية داخلية في غاية التعقيد.

ثالثاً – الانتشار الواعد لمقولة إدوارد سعيد في أن الثقافة القومية، مهما أغرقت في تفردها وأصالتها، ثقافة مولّدة[١٠]، بالمعنى العربي للكلمة كما اصطلح عليها في العصر العباسي، وأنها حصيلة تلاقح وتفاعل مع «الآخر» أكثر مما هي ناجمة عن عبقرية خالصة صافية لم يداخلها عنصر أجنبي. ومعنى هذا أن أحداً لا يستطيع أن يزعم اليوم أن ثقافة قومية ما، مهما كانت منزلتها في نظر أصحابها أو في نظر الآخرين، تستطيع أن تدّعي لنفسها مكانة متميزة تستأثر بها دون سائر الثقافات، أو أن تنظر إلى نفسها نظرة السيّد السامي وتنظر إلى غيرها نظرة العبد. ومعنى هذا أيضاً أن الثقافة الإنسانية جهد إنساني مشترك تعاقبت عليه الأمم والشعوب، كل في مرحلة ما من مراحل نموها وتطورها، وأنها لذلك بحيرة مشتركة يغرف منها من يشاء، ويستقي منها من يريد بوصفها الموروث الإنساني المشترك.

أما احتكار هذا الموروث.

أما تنصيب أمة ما لنفسها قَيّمة عليه.

أما الاعتقاد بأن لها الحق، إذ تملك القوة، في أن تسمح لمن تشاء بالورود، وأن تصد من لا ترغب فيه؛ أو تبتزه مستغلة ظمأه إلى المعرفة، وتطلعه لها.

أما تسمية هذا الموروث الإنساني بتسمية قومية، أو إقليمية، تمنح لبعض الإنسانية تسنم مكانة حضارية متميزة عن غيرها.

فكل ذلك باطل.

ذلك أن الإنسانية واحدة، وحصيلة جهدها واحدة، سواء أكان ذلك في المعرفة، أم في الفنون أم في الآداب. وليس لأمة فضل على أخرى إلا بمقدار إسهامها في هذه الحصيلة، أي بمقدار عملها لإغناء هذا الموروث الإنساني، الذي يظل ملكية مشتركة لكل إنسان الحق فيه، بصرف النظر عن لونه، أو جنسه، أو دينه، أو منزلته الاجتماعية.

الحواشـــي

1- Edwardw.said, culrure & Imperialism

(chatto & windus, London, 1993) p. 52.

2 -Ibid,p.50

3 - Ibid,p.54

4 - Margaret Anne Doody, The True story of rhe Novel انظر بشكل خاص

Harpercollins publishers, London,) 1997)

ولا سيما الصفحات(١٢ - ١٧) والتي تشير فيها إلى كتاب بيير - دانيال أويت pierre Daniel Huet- الموسوم بـ «رسالة في أصل الروايات » الذي ظهر عام ١٦٧٢، والذي يدلل فيه مؤلفه على أن الشرقيين هم من منحوا الغرب روايته، وأنهم أول من مارسوا هذا الفن وبرعوا فيه بما توافر لديهم من سرعة البديهة، والخطاب، والخيال.

انظر كتاب أليس، إي، لاستر

5- Alice E. Laster

spain To England : Acompayative study ofArabic, European

and English Literature of the Middle aAges

(university press Qf Mississippi, jackson, Mississ issippi, 1974)

وكتاب مارينا روزا مونيكال

Maria Rosa Menocal.

The Arabic RoLe in Medieval Liteyary History

(university ot pennsylvania press, philadelphia, 1987)

وقد ترجم مؤخرًا من جانب الدكتور صالح بن معيض الغامدي وانظر:

ماريا روزا مونيكال،

الدور العربي في التاريخ الأدبي للقرون الوسطى : تراث منسي

ترجمة الدكتور صالح بن معيض الغامدي، (جامعة الملك سعود، الرياض،١٩٩٩)

6 - Susan Bassnett,

Comparative Literature : A critical Introduction

(BlacKwell, oxford, 1993), p. 18

7 - نقلاً عن سوزان بازنيت، المرجع السابق، ص (١٧)

8 - نقلاً عن سوزان بازنيت، المرجع السابق ، ص (١٨)

9 - المرجع السابق ، ص (١٩)

10 - حول مفهوم الهجنة انظر كتاب:

Debating cultural Identity,

Edited by pnina werbner & Tariq Modood

(zed Books, London, 1997

وكذلك كمال أبو ديب، «مقدمة المترجم» في: إدوارد سعيد، الثقافة والإمبريالية، نقله إلى العربية كمال أبو ديب (دار الآداب، بيروت، ١٩٩٦) ، ص (٢٣- ٢٤).